



طلالما جلست في صباى ساعات طويلة أتأمل قوافل النمل تسير على الحيطان . وكنت أحيانا أدنو منها وأصيح بأصوات مدوية ، فما يبدو عليها أنها سممت شيئا ؛ فالنظام هو النظام ، والخطى هي الخطى ، والتجارة الضخمة المحمولة على الأعناق ؛ وهي جناح « صرصار » كبير ، مازالت تنهذى مطبئة في طريقها إلى عاصمة المملكة المتيدة داخل ذلك الثقب البارز في أسفل الجدار . وكانت الجيوش قد قاربت المدينة ؛ وخرجت جيوش أخرى تستقبل القادمين وتحمل عنهم بعض العبء . وكأن الجميع في فرح وحركة وانط لا يصل صدها إلى مسامى الغليظة ؛ كما أن أصوات الرعدة لا تبلغ آذان تلك المخلوقات الدقيقة . فحدثني النفس أن أحدث حدثا في تاريخ هذه « البشرية » الصغرى ، فأثبت بكوب من ماء وصبت مما فيه على القوافل الظافرة . ولبثت أنظر إلى الكارثة في ابتسام ، فإذا نمل الجيوش قد تمزق ، وإذا الذعر قد دب في الجموع . ولكن الفلول سرعان ما عادت تحمل « التجارة » من جديد في حرص المستميت . عند ذلك أقصيت الكوب وقد تمزق قلبي وقلت في نفسي : إن هذه المملكة ولا ريب تأخذ الآن عثبي على سبيل الجد ، وأنها ولا شك تحسب ما حدث الساعة ظاهرة من ظواهر الطبيعة القاسية . فما هذا عندها إلا سيل المرم ، أو طوفان هائل ، أو قضاء هبط من السماء . وتأملت لحظة شأنا نحن « البشرية » الكبرى ، وقلت : من أدرانا أنما لستنا أحسن حالا من هذا النمل ؟ ومن أدرانا أن ما نسميه ظواهر جوية وطبيعية من زوايع وأمطار وزلازل وبراكين ليس إلا عبث مخلوقات أخرى ذات أحجام وصفات لا نستطيع لها تصورا ؟ ومن أدرانا أن ليست في هذا الكون أصوات هيئات لأذانتنا الصغيرة أن تدرك وجودها ؟ لم لا نكون نحن أيضا عملا أرقى من هذا النمل وأحط من نمل آخر من جوهر آخر لا نعرف ماهو ؟ إن الله لأعظم مما نظن ؛ وإن حواسنا لأقل إدراكا لما في الكون مما نتخيل !

ترجمة الحكيم

يمظم داء الشعور بالحقارة في نفس صاحبه حتى كأنما يخيل له أن الأرض لا تستطيع أن تحمل ثقل شعوره بحقارة نفسه وهي هي الأرض التي حملت الجبال وحملت الناس والحيوانات حتى الحيوانات الهائلة التي اندثرت قديما ؛ وهي الأرض التي حملت طوفان نوح وفلكه المشحون وحملت حماقة الناس وآثامهم وغبائهم وجهلهم من عهد سيدنا آدم ، وحملت الأرض كل هذه الأشياء ولكن كأن المسكين يخشى أن تلك الأرض نفسها ربما لا تستطيع أن تحمله وأن تحمل ثقل شعوره بحقارة نفسه . وهذا الشعور بالحقارة مما يزيد الحياة مرارة وألما . وله عدوى في بعض البيئات مثل عدوى الأمراض الجلدية المعدية . ومن درس التاريخ عرف أن الأمراض النفسية تكون لها في بعض الأحيان عدوى مثل عدوى الأمراض الجلدية المعدية . أو لعل تلك الأمراض النفسية تكون مصحوبة بأمراض عصبية كمرض (المستريا) . وقد شوهدت عدوى تلك الأمراض النفسية وشوهد بإؤها بصفة خاصة في عصور الانقلاب الفكري والاجتماعي والاقتصادي وفي عصور الكوارث الطبيعية الكبيرة والنورات والحروب ، ولكنها تظهر في شكل أقل شدة وحدة في حياة الناس اليومية

وداء الشعور بالحقارة قد يصيب النبي كما يصيب التذكي ، وقد يصيب الوضع المزلة كما قد يصيب الرفيع المزلة الذي ارتفع بعد ضمة أو ارتفع أبوه أو جده بعد ضمة أجداده . وهو في أشد حالاته يكون مصحوبا بمجنون خلق لا يعجز صاحبه الخير من النشر ، ولكن ليس كل جنون خلق يكون مصحوبا بداء الشعور بالحقارة

والشواهد على وجوده كثيرة ؛ فالوضع الذي يتعالى ويتماظم مصاب به ، والرفيع المزلة الذي تصيبه حمى إذا رأى ميزة في إنسان أو استضعفه وحاول القضاء عليه بوسائل تنجيته من العقاب والمؤاخذه . ومثله مثل الفلاح الذي يسلط الأشقياء على الناس لسبب تأفه أو لغير ما سبب إلا حب الأذى وحب الظهور . وقد عرفنا أناسا من هذا القبيل بصابون (بالساذم) نسبة إلى الكونت دي ساد الفرنسي الذي كان مصابا بداء التلذذ بالتوحش والقسوة . فترى أن داء الشعور بالحقارة في أشد حالاته يكون مصحوبا بالمجنون الخلقى وبمجنون التلذذ بالتوحش والقسوة .

وسنحصى بعض شواهد هذا المرض في مقال آخر

عبد الرحمن سكري
المفتش بوزارة المعارف